عادل أبو المعاطي

# الخشوع فى الصلاة وكيفية سجود السهو




نشر توزيع

دار الــروضـــة

للنشــر والتــوزيــع

القاهرة : ص.ب ٢٢٢٧

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

ت : ٥١٢٣٦١١

نافذتك على الفكـر الإسـلامى العــربى والعــالمى بمــا تقدمــه لك من روائــع الكتــب التى تجمــع بين الأصالة والمعاصرة فــى مختلــف المجــالات

يديرها ويشرف عليها :

ســامــى الطــرابيشــى




| | |
|---|---|
| طبعــــة | ٩٥ / ٩٦ |
| الناشــــر | دار الروضة للطباعة والنشر |
| مكتب التوزيع | مركز توزيــع الكتــاب الإسلامى<br>ت : ٥١٢٣٦١١ |
| المراسلات | ٢ درب الأتراك ــ خــلف جامع<br>الأزهر ــ رمز بريدى ١١٥١١<br>ص.ب / ٢٢٢٧ |

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

ليس هناك أجمل من لحظات يقف فيها العبد بين يدى ربه ومولاه ، وليس فى العمر أسعد من قيام وسجود للخالق العظيم فى صلاة عَرَّفنا الله بها كيف نعبده.

على الإنسان العابد أن يستشعر معانى كثيرة وهو واقف بين يدى خالقه يناجيه ويُقرُّ له بعجزه وتقصيره، تائباً نائباً إليه سبحانه ، رافعاً أكُفَّ الضراعة بطلب الغفران عسى أن يتقبله الله فى عباده الصالحين.

يقف العبد الخاشع أمام ربه حافى القدمين، صافاً كعبيه إلى بعضهما ، مطمئن الجوارح ، قد سكنت وذَلَّتْ وخضعت للديان ، قد أعطى للدنيا ظهره، وهو ما بين الركوع والسجود يحنى جبهته وصُلْبه لله، مُعَفِّراً جبهته بالتراب الذى منه خُلِق، واضعاً أنفه على الأرض أمام سيده ، أنفه تلك - رمز العزة والأنفة والكرامة - قد أذلها العبد لله.

وإذا كان الله عز وجل قد مدح الخاشعين فى صلاتهم فى كتابه العزيز ، فقال سبحانه:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

فذلك لأنهم يستشعرون ويعيشون فى كل لحظة من لحظات صلاتهم معنى الوقوف بين يدى الله ، معنى الركوع لجلاله والسجود لعظمته، تمتلئ جوانحهم بأحاسيس الإيمان والإسلام والإذعان لله، يستشعرون نعمة هداية الله لهم للإيمان، فيحمدونه عز وجل أن هداهم له، ووفقهم ليكونوا عبيداً له سبحانه.

يستشعرون فى صلاتهم معنى الطهارة والنقاء، معنى الخضوع والإخبات يدركون حق الإدراك أنهم فى مهلة قبل أن يفجأهم الموت بقوته عليهم وسطوته على أعمارهم، فلا يستطيعون أن يقفوا هذه الوقفة بين يدى ربهم مرة أخرى، فيصلون صلاة مودع.

يصلون صلاة من يودع الدنيا بزخارفها ونعيمها، بطعامها وشرابها، بنومها وراحتها، بجاهها وسلطانها،

يودع كل ما كان له فيها من مال وأولاد ومركز ومنصب، وإذا به يقف وحيداً فريداً أمام خالقه إلا من قلب مطمئن بالإيمان وعمل صالح قد سبق منه ، وخوف من اللحظة التى ستنتهى فيها الصلاة فينتقل بها لحياة أخرى لا يعرف ما الله فاعل به فيها.

لذلك فأهمُّ أمر يجب أن يتحقق فى صلاة العبد هو أن يجمع شتات نفسه، وأن يحضر قلبه فى صلاته، فلا تشغله الشواغل حوله، ولا يسرح بخاطره فى شئون دنياه وحياته ، ليس لئلا تبطل أو يقل ثوابه فى صلاته، بل حتى لا يكون مسيئاً إلى ربه وخالقه بالالتفات إلى غيره وهو بين يديه.

لهذا كان هذا الكتيب، أهديه لكل مسلم ومسلمة، لكل مُصَلٍّ ومصلية، لكل خاشع وخاشعة لله عزوجل.

**عادل أبو المعاطى**

القاهرة فى : ١١ أكتوبر ١٩٩٤ م

اللهم اغْفِرْ لى ذَنْبى ، وإسْرَافِى فى أمرى ولاَ تَكِلْنى إلى نفسى طَرْفَةَ عَيْنٍ فأخسَرَ الدنيا والآخرةَ ، وأَخْسِئْ شيطانى، قد ارتكبتُ ما ارتكبتُ بجَهْلى وحُمْقى وضَعْفِ نفسى البشرية .

قد وعدْتَ ربى التَّائبينَ بالمغفرةِ فَهَا أنا واقفٌ ببابك ، أطمعُ فى رِضَاكَ ، وأرجو أَنْ تقبلَنى ، لك العُتَّبى حتى ترضَى .

ربِّ هَيِّءْ لى عملاً صالحاً تمحُو به سيئاتِى وتغفِرْ لى ذُنُوبى .

فَيَا مَنْ تقرأْ كتابى هَذَا ادْعُ لأخيك بظهْرِ الغَيْب فلَكَ بمثلِ ما تدعُو بهِ .

# خشوع العبد فى صلاته

خشع العبد : رمى ببصره نحو الأرض وغضَّه وخفض صوته. واختشع : إذا طأطأ صدره وتواضع.

وقيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع فى البدن أى أعضاء الجسم على سبيل الإقرار بالاستخذاء ، أما الخشوع فهو فى البدن والصوت والبصر، كقوله تعالى : ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٣] ، وقوله سبحانه : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨]

قال الحافظ عبد الحق ابن الخراط فى كتابه «الصلاة والتهجد»[1]: « اعلم رحمك الله أن الخشوع روح الصلاة ، وحياتها ونورها وضياؤها ، وبه تصعد إلى الملأ الأعلى ، وتنهض فى السموات العلى.

والخشوع انكسار القلب وإخباته[2] وتواضعه لله عز

---

(١) انظر كتاب « الصلاة والتهجد » لابن الخراط- بتحقيقنا- دار الوفاء المنصورة ص ١٧٩ .

(٢) الإخبات: الخشوع والتواضع.

وجل وذلته وسكون الجوارح من أجل ذلك.

وقد ذكر الله عز وجل الخشوع فى أول ما ذكر من صفات المؤمنين في سورة من كتابه ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

وفى تفسير قوله سبحانه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ⑦⑤﴾ [هود: ٧٥] ، الأواه : الخاشع المتضرع الكثير الدعاء والرغبة ».

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل على العباد ، مَنْ أحسن وضوءهن ، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذَّبه »(١)

(١) أخرجه أبو داود فى سننه (١/ ١١٥) وأحمد (٥/ ٣١٧) ونحوه من طريق آخر عن عبادة أيضاً مالك (١/ ١٢٣) والنسائى (١/ ٢٣٠) وابن ماجة (١/ ٤٤٩).

« فجعل الخشوع من شروط الصلاة التى لا تكمل إلا به . وقد قيل: من صلى صلاة بغير خشوع كان كمن أهدى إلى ملكٍ جاريةً بغير روح.

ولقد صدق ، فماذا يفيدك أن تحضر بجسدك وترفع وتخفض ببدنك ، وقلبك غائب عنك غير حاضر معك، وأنت إنما أمرت أن تحضر بكليتك، ولا يغيب شىء منك، وربما كان قلبك أهم ما تحضره من جسدك وتسكن بهن جوارحك وآكد عليك من سائرك.

وقد قال ﷺ :« اسكنوا فى الصلاة »[1]

ويُروى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل أن قل لقومك: تُحضِرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتُغيِّبونَ عنى قلوبكم؟ باطلاً ما تذهبون.

فعليك رحمك الله أن تحضر قلبك فى صلاتك جهد استطاعتك ومبلغ طاقتك، وألا تصرفه هاهنا ولا هاهنا،

(١) قطعة من حديث جابر بن سمرة أخرجه أحمد (٥/ ٩٣، ١٠١، ١٠٧) ومسلم (١/ ٣٢٢) وأبو داود (١/ ١٧٧) والنسائى (٢/ ٩٢) (٣/ ٤) وابن ماجة (١/ ٣١٧)

وألا تمر به هكذا ولا هكذا، وأن تدفع عنه الخواطر المائلة به، والأحاديث الشاغلة له، وأن تسمع ما تقرأ وتعقل ما تفعل ، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت، ولا يكتب لك منها إلا ما فيه حضرت.

وذكر أبو داود فى كتابه « السنن » عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل لينصرف وما كُتِبَ له إلا عُشْر صلاته، تُسْعُها ، ثُمُنها ، سُبُعها ، سُدُسها ، خُمُسها ، رُبعها، نِصفها ، ثلثها » [1].

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليصلى فما يكتب له عُشْر صلاته ، فالتسع، فالثمن، فالسبع حتى تكتب له صلاة كاملة » [2]

فعلى ما فى هذه الأحاديث إنما يكتب لك من

(١) حديث عمار أخرجه أحمد فى مسنده (٤/ ٣١٩، ٣٢١) وأبو داود (١/ ٢١١) وابن حبان (ص١٣٩ موارد الظمآن) والطيالسى فى مسنده (٣/ ٩٠)

(٢) حديث أبى هريرة أخرجه البيهقى فى سننه (٢/ ٢٨١)

صلاتك ما حضر فيه قلبك وعقلَه عقلك.

وقال عليه السلام : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »(١).

وقال عليه السلام « إن المصلى يناجى ربه فلينظر بماذا يناجيه » (٢)

واعلم أن المناجى لا يكون مناجياً حتى يعلم من يناجى وبما يناجى ويحضر قلبه عند المناجاة ، وقد علمت كيف يكون العبد منا إذا ناجى سيده من أهل الدنيا، أو الحر إذا ناجى عظيم قريته أو أمير بلدته، كيف يكون إصغاؤه إليه ، وتذلله بين يديه، وخشوع بدنه، وسكون جوارحه، وحضور قلبه لسماع كلامه

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٩) وأحمد فى مسنده (٤/ ١٤٥، ١٥٣) وأبو داود (١/ ٤٣) والنسائى (١/ ٩٥) من حديث عقبة بن عامر.

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١/ ٨٠) وأحمد (٤/ ٣٤٤) من حديث البياضى قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٥): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» وصحح إسناده العراقى ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (ص٤٠٢).

وتلقى حديثه، بل الصاحب مع من يوقر من أصحابه، ويعظم من إخوانه.

فأقلُّ درجتك يا هذا ، وأحط منزلتك ، وأدنى مرتبتك أن تكون كذلك مع ربك تبارك وتعالى ، وكما يجب ألاَّ تصرف وجهك عن قبلتك فى صلاتك، فكذلك لا تصرْف قلبك عنْ ربك.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الرجل لتشيب عارضاه فى الإسلام، وما أكمل الله له صلاة. قيل: فكيف ذلك؟ قال : لا يُتِمُّ خشوعها ولا تواضعها ولا إقباله على الله عز وجل فيها.

وقال عبادة بن الصامت : أول ما يُرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً.

نعم ، أمر الوسواس فى الصلاة شىء غالب ، ومبعوث مسلَّط، وردُّه بالجملة لا يُطاق ، ودفعه كله لا يُقدر عليه ولا يقوم به إلا مَنْ أيَّده الله بتأييده، وأمده بإمداده، ولم تُكلَّف قطع الخواطر عنك أصلاً. ولا

منعها من الولوج على قلبك رأساً ، ولكن عليك إذا حضرت بالاجتهاد فى ردها والمدافعة لها ، وبعد جهدك لا تُلاَمُ إن شاء الله تعالى.

وقال أبو سليمان الدارانى : إذا قمتَ إلى الصلاة فتذكر مَنْ أنت إليه قائم ، وبين يدى مَنْ أنت واقف ، واعتقد نفى ما يجرى عليك من الخواطر المذمومة ، فإذا فرغت فاستغفر الله عز وجل ، فإنه سبحانه يقبل العقد الأول والآخر، ويغفر مابينهما برحمته تبارك وتعالى »[1].

ويُروى عن يحى بن زكريا أنه قال لبنى إسرائيل : وآمركم بالصلاة ، فإذا قام أحدكم فى صلاته فلا يلتفت ، فإن الله عز وجل لا يزال مقبلاً بوجهه على عبده ما لم يلتفت، وإنما مَثَلُ ذلك مَثَلُ رجل دخل على سلطان فأخلى له نفسه وقال له: حاجتك. فجعل الرجل يلتفت يميناً وشمالاً، فقال له الملك: حاجتك، أقبل علىَّ بوجهك، فجعل ذلك الرجل يلتفت يميناً وشمالاً، فقال له الملك فى آخر كلامه: قُمْ فاخرج،

(١) انظر كتاب « الصلاة والتهجد » ص ١٧٩ - ١٨٣.

فخرج بغير حاجة.

ويُروَى أن أبا هريرة قال : إن العبد إذا قام فى الصلاة فإنه بين يدى الرحمن سبحانه ، فإذا التفت قال له الرب جَلَّ وعَزَّ: يا ابن آدم إلى من تلتفت؟ إلى رب خير لك منى تلتفت؟ أقبل إلىَّ فأنا خير لك ممن تلتفت إليه (١).

ويُروَى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام:

يا موسى ، اذكرنى حين تذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك ، وكُنْ عند ذكرى خاشعاً مطمئناً ، وإذا قمت بين يدىَّ فقم مقام العبد الذليل الحقير ، وذم نفسك فإنها أولى بالذم ، وناجنى حين تناجينى بقلب خائف ولسان صادق(٢).

---

(١) أخرجه البزار (١/ ٢٦٨ كشف الأستار) عن أبى هريرة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ

(٢) أخرجه أحمد فى الزهد (ص ١٠٨) وأورده الغزالى فى الإحياء (١/ ١٦٣).

ولا يتأتى هذا لعبد قدم على خالقه يقف بين يديه ، يدعوه ويرجوه إلا إذا تحقق قلبه بالطهارة الحقيقية لنصلاة فطهر بدنه ، ولامس الماء ـ الذى هو ماء الحياة ـ يديه ووجهه ومنخريه وفمه وأذنيه ورأسه ورجليه، وأضاف إلى هذا كله طهارة باطنة حقيقية.

يقول الإمام عبد الحق أبو محمد:

« إذا تطهر العبد بالطهارة الظاهرة للصلاة احتاج إلى طهارة أخرى باطنة ، لا تكون الصلاة مقبولة بتلك الطهارة الظاهرة إلا بهذه الطهارة الباطنة.

وهى تطهير القلب بالإيمان بالله ، والتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ أولاً: ثم بإخلاص العمل لله ثانياً ، ولا يكون الإخلاص إلا بعد الإيمان ، وإذا كان الإيمان ولم يكن الإخلاص لم يكن للصلاة معنى ، لأنه مَنْ عمل لغير الله لم يكن له شيء عند الله، ويقال له : اطلب ثواب عملك ممن له عملت، وممن لأجله انتصبت.

ويجب أيضاً على العبد المتطهر بهاتين الطهارتين طهارة ثالثة ، وهى تطهير القلب والجوارح من كل شيء يكرهه الله عز وجل من عَقْدٍ فاسد أو قصد إلى معصية صغيرة أو كبيرة.

فإذا كانت هذه الطهارة كانت الصلاة مقبولة موفرة على صاحبها يأخذها بكمالها ويستوفيها بتمامها إذا أتى بها على حدودها وحضر قلبه فيها ، وإلا كتب له منها ما عقله ، وحضر فيه قلبه.

وإذا كان العبد متطهراً بهذه الطهارات متنظفاً من أقذار الخطيئات وأدناس المخالفات ، متحلياً بالفضائل ، متنزهاً عن القبائح والرذائل ، كان جميلاً عند الله عز وجل، مُقَرَّباً منه، مُكرَّماً لديه، وإن كان قبيح الوجه بشع المنظر دنس الثياب.

كما أنه إن لم يكن متطهراً بهذه الطهارة كان قبيحاً عند الله بعيداً منه مُهاناً لديه مفرداً منه ، وإن كان جميل الوجه مليح المنظر نظيف الثياب، فالجمال بالخلق والفِعَال، لا بالبدن والمال.

وطهارة رابعة هى طهارة القلب عن التعلق بشىء سوى الله عز وجل ، أو النظر إلى غيره ، أو الالتفات إلى مَنْ هو دونه وإن كان ذلك مباحاً » (١)

وقد خصص الغزالى الباب الثالث من كتاب « أسرار الصلاة ومهماتها ». من كتابه « إحياء علوم الدين » للحديث عن الشروط الباطنة من أعمال القلب ، فقال فى فصل « بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة » (٢)

« اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل، وهى: حضور القلب ، والتفهم، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء.

* واعلم أن حضور القلب سببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه ، شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه ، والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة

---

(١) انظر: الصلاة والتهجد لابن الخراط (ص٧٧، ٧٨)

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٦١، ١٦٢)

لم يكن متعطلاً بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا ، فلا حيلة ، ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة.

والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها ، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة.

* وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر ، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها ، أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها.

وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، لذلك ترى أن من أحب غير الله لا

تصفو له صلاة عن الخواطر.

* وأما التعظيم فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين:

إحداهما : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته ، وهو من أصول الإيمان ، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه .

الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم.

وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع.

* وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به ، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يُشَاهد من ملوك الأرض.

وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة

* وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

* وأما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ، ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخيلتها وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ».

وحضور القلب فى الصلاة لا يتأتى للعبد بمجرد محاولته استجماع نفسه وقلبه وهو واقف بين يدى الله ، بل الأمر يتعدى هذا بكثير ، إذ كيف يجمع الإنسان شتات قلبه فى لحظات معدودة ، وهو فى حياته التى يعيشها قد صرف همته إلى الدنيا ومشاغلها ومتطلباتها وطموحاته فيها. وسعيه للجاه والمال ، وجعل الدنيا هَمَّه الأول.

فهل ترى من هذا حاله قادراً على جمع هَمِّه فى الصلاة وتوجيهه للتواضع والذل بين يدى الله ، أو التفكر فى وقوفه بين يديه فى هول يوم القيامة؟

يقول الإمام الغزالى فى « إحياء علوم الدين» :

« من انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها ، لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة، فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته ، وهمة الرجل مع قرة عينه ، فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لا محالة إليها همه » (١)

بل يجب أن تكون حياة الإنسان كلها لله ، منطلقاته ، توجهاته ، سلوكياته ، معاملاته ، حياته بكل جوانبها ونواحيها يتحتم أن تكون بكليتها لله عز وجل:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾ [الأنعام: ١٦٢]

يقول الأستاذ سيد قطب عن هذه الآية:

---

(١) إحياء علوم الدين - الإمام أبو حامد الغزالى (١/ ١٦٥)

« إنه التجرد الكامل لله ، بكل خالجة فى القلب وبكل حركة فى الحياة ، بالصلاة ، والاعتكاف ، وبالمحيا والممات، بالشعائر التعبدية ، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه.

إنها تسبيحة «التوحيد» المطلق ، والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات ، وتخلصها لله وحده ، لله رب العالمين ... القوام المهيمن المتصرف المربى الموجه الحاكم للعالمين... فى «إسلام» كامل لا يستبقى فى النفس ولا فى الحياة بقية لا يُعبِّدها لله، ولا يحتجز دونه شيئاً فى الضمير ولا فى الواقع [١]

وقد قال ابن الخراط:

« واعلم أن الخشوع ليس مخصوصاً بالصلاة ، بل يكون فى كل وقت ، ولكنه فى الصلاة أقرب ، لأن الخشوع إنما يتولد عن تعظيم الله عز وجل ، وهيبة له، وإجلال سلطانه ، والصلاة موضع تعظيم لله وإجلال له سبحانه وتعالى »[٢]

---

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق (٣/ ١٢٤٠).

(٢) انظر الصلاة والتهجد لابن الخراط - ص ١٨٩

# أحوال سلفنا الصالح فى الصلاة

* كان عبد الله بن عمر يصلى فَيُرجِّع ويتأوه حتى لو رآه رجل ممن لا يعرفه لقال : هذا مجنون.

* وكان عمر بن عبد العزيز لا يتحرك فى صلاته ، ولا يحك شيئاً من جسده حتى يفرغ.

* وكان عبد الله بن الزبير يصلى فجاء حجر المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه، فما انفتل[1] من صلاته حتى فرغ ، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه جذع ، من الخشوع ، يعنى لا يتحرك.

* كان مالك بن أنس يطيل الركوع والسجود فى وِرْده، وإذا وقف فى الصلاة فكأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شىء ، فلما أصابته العلة قيل له: لو خففت من هذا قليلاً. فقال: ما ينبغى لأحد إذا عمل عملاً إلا حَسَّنه.

---

(١) انفتل : انصرف .

* وكانِ أبو يزيد البسطامى إذا دخل فى الصلاة سُمِعَتْ لأعضائه حركة كأنها عظام فى جراب.

* كان سليمان التيمى إذا تهيأ للصلاة يصفَرُّ ويحمَرُّ ويقول: إنى أريد القيام بين يدى الله عز وجل.

* وقال سفيان الثورى: لو رأيتَ منصور بن المعتمر يصلى لَقُلْتَ: يموت الساعة.

* وقد كان حبيب بن أبى ثابت يصلى وكأنه ميت- يعنى من خوفه وخشوعه.

* وقال سعيد بن جبير : ما عرفت مَنْ على يمينى ولا مَنْ على شمالى فى الصلاة منذ أربعين سنة.

* وكان عبد الله بن مسعود إذا قام فى الصلاة غمض بصره وصوته ويده.

* وكان الربيع بن خثيم من الخاشعين ، وكان يقول: ما دخلت قط فى صلاة فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى.

* وقال سعد بن معاذ: ما كنت قط فى صلاة

فشغلت نفسى بغيرها حتى أقضيها.

* وقيل لأحدهم : هل تذكر فى الصلاة شيئاً ؟ فقال : وهل شىء أحب إلىَّ من الصلاة حتى أذكره فيها.

* وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين ، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله.

* وقيل له ذات يوم : هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟

قال : نعم ، بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إحدى الدارين. قيل : فهل تجد شيئاً مما نجد من أمور الدنيا ؟

فقال : لأن تختلف الأسنة[1] فىّ أحبّ إلىّ من أن أجد فى صلاتى ما تجدون.

---

(١) الأسنة : السهام والرماح .

# الصــــلاة الخاشعـــــة

* عند سماع نداء المؤذن :

إذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة ، وتشمَّر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين يُنَادَوْنَ باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء.

* عند التطهر للصلاة :

أما الطهارة فإذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الأبعد. ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب ، ثم فى بشرتك وهى قشرك الأدنى ، فلا تغفل عن لُبِّكَ الذى هو ذاتك وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهِّر بها باطنك ، فإنه موضع نظر معبودك.

* عند ستر العورة :

أما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق ، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق، فما بالك فى عورات باطنك ، وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل ؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ساتر، وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك ، وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسئ الآبق الذى ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف.

* عند استقبال القبلة :

أما استقبال القبلة فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوباً منك ؟

هيهات فلا مطلوب سواه ، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها

بالإثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب ، فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله تعالى، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها ، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه.

*** عند الاعتدال قائماً :**

أما الاعتدال قائماً فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل ، وليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مُطْرقاً مطأطئاً متنكساً ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال.

واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض

ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كُنْه جلاله . بل قدِّر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب فى أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع.

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدَّعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يُخْشى ؟

* عند النية :

أما النية ، فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكفِّ عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربى منه متقلداً للمنة منه بإذنه إياك فى المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظِّم

فى نفسك قدر مناجاته ، وانظر مَنْ تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى ؟ وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويَصْفر وجهك من الخوف.

*** عند التكبير :**

أما التكبير ، فإذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنه لكاذبٌ ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبَّرته ، فيوشك أن يكون قولك « الله أكبر » كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وفى هذا يقول ابن الخراط:

« فقول العبد « الله أكبر » إنما معناه: أنه أكبر من كل شىء دونه ، وأن كل ما دونه صغير بالإضافة إليه ، فالواجب عليه أن يعتقد أنه ليس فى السماوات السبع

ولا فى الأرضين السبع من يضر ، ولا من ينفع غيره ، وإن من نظر إلى مخلوق بعين الضر والنفع فلم يُكبّر الله جل وعز حق تكبيره ، ولا عظَّمه حق تعظيمه ، من أجل أنه كأنه قد أشرك معه فى ملكه لما أضاف إليه الضر والنفع.

فإذا قال العبد « الله أكبر » على يقين أنه أكبر من أن يُرَدَّ قضاؤه أو يُتعقَّب حكمه ، أو تخالف مشيئته ، أو يضر دونه ضار ، أو ينفع دونه نافع ، حتى لا يكون فى قلبه شىء سواه ، فكأنه لم يَر فى السماوات ولا فى الأرض ولا فيما بينهما شيئاً إلا الله وحده.

فإذا رفع العبد الوسائط بينه وبين مولاه ، ولم ير ما بين العرش إلى الثرى شيئاً سواه ، وصفَّر ما دونه وترك النظر إلى غيره ، ملأ الله له ما بين أرضه وسماواته نوراً وجعل له ما بينهما قُوَّاماً وخُدَّاماً ، لأنه لما أخرج ما بين الطبقين وما فيهما من سره ملأ الله ما بين الكونين من بره.

وينبغى للعبد إذا قال فى صلاته « الله أكبر » عند افتتاحها ، أن يكون ذكر الله فى قلبه أكبر وأعظم من أن يذكر معه سواه ، أو يخلط بذكره ذكر شىء من دنياه ، إجلالاً له وتعظيماً.

ولهذا سمَّى رسول الله هذا التكبير تحريماً ، فقال عليه السلام حين ذكر الصلاة « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم » ، فنبَّه بهذا على أن الذى يقوم إلى الصلاة إذا كبَّر تكبيرة الإحرام فقد حرم على نفسه كل ما كان مباحاً له قبلها ، من الاشتغال بالدنيا ومعاشها، وما كان فيه من مخالطة أهلها ، وقد احترم بحرمة الصلاة ودخل فى حِمَاها ، ولم يشغل قلبه بذكر شىء سواها.

وأما مَنْ كان فى صلاته مقبلاً على سهوه وغفلاته ، فليس لصلاته تحريم ، ولا لمناجاته حين يناجى ربه فيها تعظيم.

ولهذا قيل لتكبيرة الافتتاح « تكبيرة الإحرام » على التشبيه بالإحرام بالحج لأن المحرم بالحج إذا بلغ

ميقاته[1] تطهَّر ولبس ثياب إحرامه ، وأقبل على ما هو قاصد إليه بقلبه وعمله ، وحرم على نفسه ما كان مباحاً له قبل دخوله فى الإحرام مثل الطيب واللباس والنساء وغير ذلك.

وكذلك المصلى إذا أراد أن يدخل فى الصلاةِ تطهر للوقوف بين يدى ربه ، ثم قام إلى الصلاة وأحرم بسم الله العزيز الكبير ، وهو قول « الله أكبر » معظماً له بقلبه كما عظَّمه بلسانه ، وتعظيمِ القلب هو أن يعتقد تعظيم من عظم ، وتكبير من كبَّر ، وأن يمتلىء هيبة وخوفاً وخشية »[2]

### * عند دعاء الاستفتاح :

وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قوله « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض » ، وليس المراد

---

(١) ميقات الحج هو المكان الذى لا يجوز للحاج أو المعتمر أن يمر به فى طريقه إلا وهو محرم ، وهى أماكن محددة حددها رسول الله ﷺ لأهل كل مصر.

(٢) الصلاة والتهجد - ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

بالوجه الوجه الظاهر، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه ، وإنما وجه القلب هو الذى تتوجه به إلى فاطر السماوات والأرض ، فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السماوات ؟

وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه ، فاجتهد فى الحال فى صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقاً .

*** عند قراءة القرآن فى الصلاة :**

أما القراءة ، فالناس فيها ثلاثة :

- رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل.

- ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، وهى درجات

أصحاب اليمين.

- ورجل يسبق قلبه إلى المعانى أولاً ، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه.

ففرْق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب. وينبغى أن تفهم ما تقرؤه فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه.

*** عند الركوع :**

أما الركوع ، فينبغى أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ، ومتبعاً سنة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعِزّ مولاك واتضاعك وعلو ربك.

وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ،

وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار.

* عند الرفع من الركوع :

قول المصلى « سمع الله لمن حمده » معناه : قَبِلَ اللهُ حمدى وحَمْدَ الحامدين له ، من أجل هذا يقول المأموم « ربنا ولك الحمد » أى: ربنا استجب لنا ، ولك الحمد على ما مننت به علينا وهديتنا إليه.

والمصلى قبل أن يدخل فى صلاته إنما هو كالعبد الآبق عن مولاه الهارب عن سيده ، الذى لم يعطه حق العبودية ، لما يدخل عليه من الغفلات والزلات والفلتات فيما بين أوقات الصلاة ، فهو فى حال تلك الفلتات والهنات والزلات كأنه عبد آبق شارد عن طاعة مولاه ، فإنما يقوم المصلى على سبيل التنصل والاعتذار وطلب العفو والاغتفار.

فإذا قام العبد إلى مولاه معتذراً من ذلك الجفاء مستشعراً للمخافة منه والحياء قد زَمَّتْ [1] الهيبة جوارحه ، وملأت مراقبة مولاه جوانحه ، ثم انحط

(١) أى أن هيبته وخشيته من الله قد أمسكت بزمام جوارحه.

للركوع خاضعاً متذللاً خاشعاً بعد قراءة أم القرآن المفتتحة بالتحميد ، وما تيسر من كلامه المجيد ، فقد خرج من ذلك الجفاء ودخل فى العبودية والحياء والحمد والثناء.

فلما أخذ فى رفع رأسه من الركوع للفصل بينه وبين السجود ، وأراد أن يقف منتصباً بين يديه ماثلاً راغباً لربه تبارك وتعالى أن يكون لحمده إياه قابلاً.

والسماع هاهنا بمعنى القبول ، فسمع الله لمن حمده أى قَبِلَ الله حمدى ، والله عز وجل يكتب للمصلى فى قوله « سمع الله لمن حمده » ثواب كل من دعا له من مؤمن ومؤمنة ، لأن قوله « سمع الله لمن حمده » إنما هو دعاء معناه: قَبِلَ الله حَمْدَ مَنْ حَمِدَهُ ، فلهذا يكتب له ثواب من قالها.

*** عند السجود بين يدى الله :**

ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة، فتُمكِّنَ أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما

حائلاً فتسجد على الأرض فافعل ، فإنه أجلب للخشوع وأَدَلُّ على الذُّلِّ.

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خُلِقْتَ وإليه تعود ، فعند هذا جدِّدْ على قلبك عظمة الله وقل « سبحان ربى الأعلى » وأكده بالتكرار، فإن الكَرَّةَ الواحدة ضعيفة الأثر.

فإذا رقَّ قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر ، فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك ، ثم أكِّدْ التواضع بالتكرار فَعُدْ إلى السجود ثانياً.

*** عند الجلوس للتشهد :**

أما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبات أى من الأخلاق الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله وهو معنى « التحيات ».

وأحضر فى قلبك النبى ﷺ وشخصه الكريم وقل « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » ، ثم تسلِّم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباده الصالحين ، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها .

ويقول الحافظ عبد الحق :

« أذن الله عز وجل للعبد عند فراغه من السجود الذى هو غاية الخضوع أن يجلس بين يديه مطمئناً قلبه إليه . . وأن يحييه بتحية الوصول الذى هو علامة القبول، وأن يسأله حوائجه ، ويرغب إليه فيما يصلحه، ويستغفره ليغفر له .

كما يُروَى أن النبى ﷺ دخل المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول : اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله ، لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً

أحد ، أن تغفر لى ذنوبى ، إنك أنت الغفور الرحيم فقال رسول الله ﷺ « قد غُفِرَ له ، قد غُفِرَ له»[1]»[2].

* **عند الدعاء فى جلسة التشهد :**

ثم ادْعُ فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين ، وانْوِ ختم الصلاة به ، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة.

وتوهَّم أنك مودِّع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها ، ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة ، وخَفْ أن لا تُقبلَ صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فَتُرَدُّ صلاتك فى وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٨) وأبو داود (١/ ٢٥٩) والنسائى (٣/ ٥٢) وابن خزيمة فى صحيحه (١/ ٣٥٨) والبيهقى فى الأسماء والصفات (١/ ١٠٧) من حديث محجن بن الأدرع .

(٢) انظر : الصلاة والتهجد لابن الخراط ـ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

# أثر الخشوع فى حياتنا اليومية

إن هدف الإسلام العام هو إصلاح هذه الحياة الدنيا التى يعيش فيها البشر.. ولكن بمنهج الله الذى يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير ، وإصلاح هذه الحياة من جميع جوانبها لا يتأتى إلا بإصلاح النفوس البشرية التى هى دعامة أى مجتمع من الماضى والحاضر والمستقبل ، ولذلك نجد القرآن يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]

فالله عز وجل لا يغير فساد الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية - الذى هو مظهر من مظاهر إقصاء الدين عن تسيير حياة البشر - فى أى مجتمع إلا إذا تغيرت تلك النفوس التى تحيا فى ذلك المجتمع سواء كانت حاكمة أو محكومة.

وهذا التغيير لا ينزل من السماء على الناس ، بل يأتى بالسعى الدائب من قبل البشر لتغيير نفوسهم ، وبالتالى تتغير المنطلقات التى ينطلقون منها ، فيصبح

المنهج الذى يسيرهم منهجاً ربانياً يستند أساساً إلى التعاليم الإلهية والمبادئ السماوية بعيداً عن المناهج الأرضية التى يعتورها النقص والخلل ، وتتحكم فيها الأهواء والشهوات .

والإسلام منهج شامل لكل نواحى الحياة ، فهو كُلٌّ لا يتجزأ ، وكل جزئية فيه تنضوى تحت إطار عام ، فليست العبادات - مثلاً - مجرد علاقة خاصة بين العبد وربه ، بل هى وسيلة لإصلاح ذوات الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع.

لذلك يكون مخطئاً من يحاول فهم العبادات - من صلاة وصيام وزكاة وحج - على أنها أمور تعبدية تتعلق بكل شخص له أن يفعلها أو لا يفعلها ، ويغفل دور هذه العبادات فى تقويم المجتمع ككل وإصلاح المسار الاقتصادى والاجتماعى والسياسى.

إن الصلاة ـ على سبيل المثال ـ بكل ما تحمله من معانى الاجتماع فى وقت معين ومكان معين وهو المسجد ، وبكل ما تنطوى عليه من معانى الاستجابة

لنداء الله فى كل وقت يُنَادَى فيه للصلاة ، وأيضاً بكل دلالات الاصطفاف فى الصلاة صفوفاً متراصة وراء إمام واحد يكون قدوتنا وأسوتنا.

كل هذه المعانى تعطى المسلم الذى يتمثلها حَقَّ التمثل وتكون الصلاة بالنسبة له ليست مجرد حركات يؤديها وليس مجرد فرض يؤديه حتى لا يكون عليه وزر، كل هذه المعانى تعطى المسلم الحِسَّ الحقيقى فى المجتمع نحو مشاكل مجتمعه وما تستلزمه من الالتزام والانضباط والتعاون والتراص والاجتماع والاستجابة لأمر الله ، كل هذه المعانى تجعله عنصراً فعالاً منتجاً خلاَّقاً فى مجتمعه.

وأيضاً فإن الاطمئنان القلبى فى الصلاة والخشوع ، إذا كنا نأخذه على أنه ركن من الأركان لا تصح الصلاة إلا به ، حتى أن رسول الله ﷺ قال للذى كان ينقر فى صلاته « ارجع فصَلِّ ، فإنك لم تُصَلِّ » ذلك لأن صلاته فقدت أهم شىء فيها ، وهو الخشوع المستلزم لتدبر معانى الصلاة بجميع أركانها.

فإذا كان الأمر كذلك فإن الخشوع له أيضاً وجهة تربوية يتربَّى فيها الإنسان على الخضوع الحقيقى لله ، ليس فى الصلاة وحدها ولكن فى كل أمور حياته ، فالخاشع الحقيقى فى الصلاة هو الذى يحقق فى حياته بشكل فعلى قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

فتصبح حياته ومماته وصلاته ونسكه وعباداته كلها لله وحده ، وتصبح حركاته وسكناته ونومه وانتباهه ، وعمله وحركته فى المجتمع كلها لله ، ولا يخفى ما فى ذلك من صلاح للمجتمع بجميع جوانبه ، لأن المقياس حينئذ سيكون مقياساً ربانياً يقيس به الفرد نفسه ، فإن جاء موافقاً لمنهج الله فهو على طريق الفلاح فى الدنيا والآخرة ، وإن كان مخالفاً لمنهج الله فعليه أن ينظر فى نفسه فيقومها ويأخذ بعوامل إصلاحها.

إن الخاشع فى صلاته ، المتدبر معنى وقوفه بين يدى مالك الملك ، وأنه ذرة من ذرات هذا الكون الذى

يتجه لله بالتسبيح والعبادة والتحميد ، فكل خاضع له، خاشع لقدرته وعظمته ، كل هذه المعانى تجعل الإنسان الذى يعصى الله يحس ويستشعر أنه منبوذ من هذا الكون لأنه خالق المنظومة الكبرى التى تنتظم هذا الكون وتجعله كله مسبحاً بحمد الله.

قال الإمام الغزالى :

« اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ، ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عزَّ وجَلَّ ، ومَنْ رُزِقَ ذلك فإنه يكون خاشعاً فى الصلاة وفى غير الصلاة ، بل فى خلوته ، وفى بيت المال عند الحاجة ، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ، ومعرفة تقصير العبد ، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة »(١)

والخشوع أمر فوق الإقرار والتصديق واطمئنان القلب بذكر الله فى الصلاة ، ففيه تتلخص جميع معاني الطاعة المطلقة لله واتباع ما أنزل سبحانه من الكتاب

(١) إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالى (١/ ١٧١) .

والحكم به بين الناس ، هو الوقوف عند حدود ما أحلَّ الله وما حرَّم ، وهذا كله لا يتأتى إلا من قلب خاشع عرف قدر الله فتواضع له ووقف عند الحد الذى أوقفه الله عنده .

ونحن الآن إذا كانت تواجهنا مظاهر كثيرة للانحراف فى المجتمع من سرقة ، ورشوة ، واستغلال نفوذ ، وزنا ، وقمار ودعارة ، وغير ذلك ، فإن جعْلَ هذا المجتمع مجتمع دعوة سيقضى على كل المظاهر.

ولا يكفى أن ينحصر جهدنا فى المهمة الشُّرَطية فقط وردع الجريمة بالسجون والمحاكم والقضايا ، فإن ذلك يؤدى إلى تفاقم مشاكل المجتمع واستفحال أمرها ، بل يجب أن ننطلق فى حركتنا لإصلاح المجتمع من منطلق اعتمادنا منهج الله منهجاً شاملاً للإصلاح.

ولتكن البداية إصلاح النفوس بترسيخ عقائد الإيمان والعبادات بشكل عملى ، فهذا سيوجد لنا إنساناً آخر يتردد كثيراً قبل الإقدام على أى انحراف ، لا خوفاً من عقاب دنيوى ولكن خوفاً من الله العليم القدير.

إن مشكلتنا الأساسية فى عصرنا الحاضر هى أزمة الضمير الذى يحرك الأفراد نحو العمل الصالح المثمر النافع للمجتمع ، وذلك لأننا أقصينا الدين من حياتنا ولم نجعله مرشداً وحاكماً لتصرفاتنا ، فى حين أن المجتمع المسلم الأول قد وجدت فيه نماذج اتسمت بالضمير الحىّ اليقظ ، فرغم أنها وقعت فى المعصية ولم يعلم أحد بها من البشر ، إلا أن ضميرها الحى الذى يدرك تماماً أن المسألة ليست مسألة القانون الذى يحكمنا ، ولكن المسألة مسألة أن الله مُطلِّع علينا ، رقيب على أفعالنا ، هذا الإدراك جعلها تذهب لرسول الله ﷺ وتعلن توبتها وتطلب القصاص وتنفيذ حكم الله فيها حتى تتطهر نفوسها ، ذلك لأنها أخذت من معين النبوة ، صحيح أنها وقعت فى الفاحشة ولكن هذا كان أمراً عارضاً حدث لسبب أو لآخر ، ولكن ما ركزته الصلاة الخاشعة ـ بصفةخاصة ـ فى النفوس جعلها بعد فعل المعصية تستيقظ ولا تتمادى فى الفاحشة، وفى ذلك رَدْعٌ للجريمة بطريقة تربوية.

ولقد أكَّدَ رسول الله ﷺ على هذه المعانى فى الحديث الذى ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل للنبى ﷺ : « إن فلاناً يصلى بالليل ، فإذا أصبح سرق ، قال : سينهاه ما تقول » [1]

فالصلاة ـ كما قلنا ـ إذا توفر فيها الخشوع والخضوع التامَّيْن لله عز وجل كانت وسيلة إصلاح للمجتمع ، وليست مجرد عبادة لا أثر لها فى تقويم سلوك أفراد المجتمع ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعْداً»[2]

فالصلاة إذا لم تَنْهَ العبد عن الفحشاء والمنكر فمعنى هذا أنها افتقدت الخشوع لله والاطمئنان القلبى وافتقرت

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٢/ ٤٤٧) والبزار (١/ ٣٤٦ كشف الأستار) وابن حبان (ص ١٦٧ موارد الظمآن) قال الهيثمى فى المجمع (٢/ ٢٥٨): « رجاله رجال الصحيح ».

(٢) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (١١/ ٥٤) وعزاه ابن كثير لابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث ابن عباس ، وذكره الهيثمى فى المجمع (٢/ ٢٥٨) وقال « فيه ليث بن أبى سليم وهو ثقة ، ولكنه مدلس ».

إلى التضرع والتدبر والإحساس بمعنى الوقوف بين يدى الله ، فكانت مردودة على العبد ، ولم يُرْجَ من صاحبها خير قط.

فصلاح المجتمع من صلاح نفوس أفراده ، وصلاح أفراده من السير على منهج الله فى كل دقائق الحياة بخشوع لله عز وجل الذى يستلزم الخوف من الله والرجاء فى ثوابه.

* * *

ولذلك نجد الله عز وجل يؤكد على تنقية قلوب المؤمنين به ، وتطهيرها من كل ما يبعدها عن حظيرة الإسلام ، أو يشكك فى امتلاء قلوبهم بالإيمان ، نجده سبحانه يؤكد على ترسيخ وركْز الخشوع فى الذين آمنوا، نجده يعاتبهم فيقول سبحانه:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦]

عتاب ربانى إلهى لعباده الذين آمنوا به ، ورضوا دينه ورسله ، وصدَّقوا بآيات الله ، ومن هنا تأتى

أهميته لتجديد شباب هذه الأمة ، ولتجديد أمر هذا الدين، ليسرى فى قلوب أبنائها دماء متجددة تصدر عن قلوب تنبض بالخشوع والخشية والرهبة والوجل والرجاء.

هذا العتاب يستمد قوته من أنه ﴿ **للذين آمنوا** ﴾ وليس للذين كفروا أو الذين ضلوا الطريق ، بل كان للذين اهتدوا وساروا فى دروب الإيمان ، يعيشونه حياة ماثلة للأعين والأسماع.

وأكثر من هذا أن هذا العتاب وُجِّهَ أول ما وُجِّه إلى المؤمنين الأُوَل الذين رأوا بأعينهم القرآن ينزل وحياً على رسول الله ﷺ بين أيديهم ، وكانوا أول مَنْ طرق سمعهم كلامُ الله ، وعاشوا أحداث آيات القرآن آية آية، وفقهوا آياته على يدى رسول الله ﷺ.

قال ابن مسعود[1]: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (١٦)** ﴾ إلا أربع سنين.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (٤/ ٢٣١٩).

بعد أربع سنوات فقط من إسلامهم عاتبهم الله على أن قلوبهم لم تخشع لذكر الله ، ألم يَأت أوان خشوع قلوبكم لذكر الله ولينها واطمئنانها به ؟

فما بالنا نحن بعد أكثر من ١٤٠٠ سنة هجرية ؟

يجب أن ندرك هذه الحقيقة جيداً :

إننا على خطر عظيم إن لم نأخذ كتاب الله بقوة وعزم وحزم.

إننا على خطر عظيم إن لم ننقذ أنفسنا ومجتمعاتنا بقرآن الله ، بما نزل من الحق .

إننا على خطر عظيم إن لم تخشع قلوبنا لله وتخضع وتذل .

إننا على خطر عظيم إن لم نُسْلِمْ قيادنا وزمام أمرنا لربنا .

إننا على خطر عظيم إن لم تصبح قلوبنا خاشعة وأيدينا متوضئة طاهرة.

يقول الأستاذ سيد قطب عن هذا العتاب :

« عتابٌ فيه الوُدُّ ، وفيه الحَضُّ ، وفيه الاستجاشة الى الشعور بجلال الله ، والخشوع لذكره ، وتلقِّى ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام » [1]

وإذا كان الله عز وجل قد عاتب المؤمنين الأول بأن قلوبهم لم تخشع بَعْد ، فإنه سبحانه وتعالى لا يريد منهم خشوعاً تطأطأ فيه الرؤوس ، أو يسير العبد فى الطريق رويداً مُظْهِراً السكينة والوقار ظناً منه أنه هكذا خاشع.

لهذا يؤكد لهم الله عز وجل بعد عتابه هذا على مبادئ الدين وتعاليمه حتى لا تتوه منهم فى مسيرة الحياة الدنيا بين الاهتمامات والتوجهات المختلفة ، ولأن خشوع قلوبهم لن يتحقق إلا إذا انضاف إلى حالة الخشوع الظاهرية ترجمة هذا الخشوع إلى العمل الصادق الصالح الجَدِّى فى الحياة لا يكونوا كالمنافقين:

(١) فى ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ (٦/ ٣٤٨٩).

١ ـ ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٧]

٢ ـ ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد: ١٨]

٣ ـ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد: ١٩]

٤ ـ ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾

[الحديد: ١٩]

٥ ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحديد: ١٩]

٦ ـ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾

[الحديد: ٢٠]

٧ - ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾[ الحديد: ٢٢ ]

٨ - ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) ﴾ [ الحديد: ٢٥ ]

سياق واحد يجمع كل هذا ، يأخذ بقلوب المؤمنين إلى الانحناء لجلال الله سبحانه وتعاليمه ، فالله لا يريد خشوعاً يتمثل فى طأطأة الرؤوس والتماوت فى المشية وادعاء الزهد والصلاح وأمور ظاهرية لا تمثل شيئاً فى ميزان الله ، ولكنه سبحانه يريد خشوع كل متحرك وساكن فى بدن الإنسان.

إن الله يريد حركة فى الحياة يدفعها قلب مؤمن خاشع يدرك حقيقة وجوده وعظمة الله سبحانه وجلاله، يدرك المطلوب منه بالضبط فى هذه الحياة ، لا يكون غافلاً أو متغافلاً ، بل يكون ذا قلب حَيٍّ

فيَّاض بالإيمان ، مفعم بحب الله ورسوله .

إن آيات سورة الحديد هذه نزلت من لَدُنْ حكيم عليم ، يريد من عباده أن ينهجوا منهجاً سوياً إسلامياً فى الحياة ، يريد منهم أن يكونوا نافعين لأنفسهم ولغيرهم ، يريدهم متصدقين باذلين للمال فى سبيل الخير ، يريدهم مجاهدين مُضحِّين بأرواحهم يبيعون أنفسهم لله ، يريدهم قياماً بالقسط والعدل بين الناس .

وكيف يتأتَّى هذا من أناس لم تنفعل قلوبهم بأمر الله وآياته ، ولم تَنْحنِ رقابهم خشوعاً لله ، ولم تمتلئ قلوبهم بأن الله يحيى الأرض بعد موتها ، وأن الحياة الدنيا كل ما فيها لا قيمة له بجانب الدار الآخرة ، وما أصاب الإنسان فى حياته أمر مُقدَّر اطلع الله عليه فكتبه عنده فى كتاب .



# سجــــود الســــهو

إن كنا قد تحدثنا عن الخشوع فى الصلاة وإحضار القلب والعقل فى هذه الصلاة ليتحقق الإنسان بحقيقة وقوفه بين يدى الله ، فإن النفس البشرية لا شك أحيانًا تغلب المصلى فينسى فى صلاته أو تشغله شواغل أخرى من الدنيا تأخذ به بعيدًا عن الصلاة ، وهذا أمر وارد ، ورسول الله ﷺ نفسه كان يعتريه هذا . فقد صح عنه ﷺ أنه قال: « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكرونى ».

ولهذا شرع سجودٌ لما يصيب الإنسان فى صلاته من سهو ، حتى يجبر العبد بسجوده ما قد نقصه من صلاته أو زاده فيها.

وكنت قد اطلعت على رسالة قيمة للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين اسمها « رسالة فى سجود السهو »، ولأننى أرى أنها قد استوفت الموضوع بطريقة مبسطة مرتبة تعطى الحكم ثم المثال ثم الدليل مما يغنى عن

مطالعة كتب كثيرة ومراجع مطولة للوصول لهذا الأمر فرأيت أن أنقلها للقارىء وأرجو أن ينفعه الله بها .

يقول الشيخ العثيمين فى رسالته التى كتبها منذ ١٥ عاماً :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذى بلغ البلاغ المبين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإن كثيراً من الناس يجهلون كثيراً من أحكام سجود السهو فى الصلاة ، فمنهم من يترك سجود السهو فى محل وجوبه ، ومنهم من يسجد فى غير محله ، ومنهم من يجعل سجود السهو قبل السلام وإن كان موضعه بعده ، ومنهم من يسجد بعد السلام وإن كان موضعه قبله .

ولذا كانت معرفة أحكامه مهمة جداً لا سيما للأئمة الذين يقتدى الناس بهم وتقلدوا المسئولية فى اتباع المشروع فى صلاتهم التى يؤمون المسلمين بها ، فأحببت أن أقدم لإخوانى بعضاً من أحكام هذا الباب

راجياً من الله تعالى أن ينفع به عباده المؤمنين فأقول مستعيناً بالله تعالى مستلهماً منه التوفيق للصواب :

* وسجود السهو : عبارة عن سجدتين يسجدهما المصلى لجبر الخلل الحاصل فى صلاته من أجل السهو.

* أسبابه ثلاثة : الزيادة ، والنقص ، والشك .

**أولاً : الزيادة :**

إذا زاد المصلى فى صلاته قياماً أو قعوداً أو ركوعاً أو سجوداً متعمداً بطلت صلاته ، وإن كان ناسياً ولم يذكر الزيادة حتى فرغ منها فليس عليه إلا سجود السهو وصلاته صحيحة ، وإن ذكر الزيادة فى أثنائها وجب عليه الرجوع عنها وسجود السهو وصلاته صحيحة .

**مثال ذلك** : شخص صلى الظهر (مثلاً) خمس ركعات ولم يذكر الزيادة إلا وهو فى التشهد ، فيكمل التشهد ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم ، فإن لم يذكر الزيادة إلا بعد السلام سجد للسهو وسلم ، وإن ذكر الزيادة وهو فى أثناء الركعة الخامسة جلس فى الحال فيتشهد ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

**دليل ذلك** : حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ صلى الظهر خمساً فقيل له : أزيد فى الصلاة ؟ فقال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمساً فسجد سجدتين بعد ما سلم . وفى رواية « فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم » رواه الجماعة.

**ثانيا : النقص :**

**أـ نقص الأركان :**

إذا نقص المصلى ركناً من صلاته فإن كان تكبيرة الإحرام فلا صلاة له سواء تركها عمداً أم سهواً لأن صلاته لم تنعقد ، وإن كان غير تكبيرة الإحرام فإن تركه متعمداً بطلت صلاته .

وإن تركه سهواً فإن وصل إلى موضعه من الركعة الثانية لغت الركعة التى تركه منها ، وقامت التى تليها مقامها ، وإن لم يصل إلى موضعه من الركعة الثانية وجب عليه أن يعود إلى الركن المتروك فيأتى به وبما بعده ، وفى كلتا الحالين يجب عليه أن يسجد للسهو

بعد السلام .

**مثال ذلك** : شخص نسى السجدة الثانية من الركعة الأولى ، فذكر ذلك وهو جالس بين السجدتين فى الركعة الثانية ، فتلغو الركعة الأولى وتقوم الثانية مقامها ، فيعتبرها الركعة الأولى ويكمل عليها صلاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

**ومثال آخر** : شخص نسى السجدة الثانية والجلوس قبلها من الركعة الأولى فذكر ذلك بعد أن قام من الركوع فى الركعة الثانية ، فإنه يعود ويجلس ويسجد، ثم يكمل صلاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

**ب ـ نقص الواجبات** :

ـ إذا ترك المصلى واجباً من واجبات الصلاة متعمداً بطلت صلاته .

ـ وإن كان ناسياً وذكره قبل أن يفارق محله من الصلاة أتى به ولا شىء عليه .

ـ وإن ذكره بعد مفارقة محله قبل أن يصلى إلى

الركن الذى يليه رجع فأتى به ، ثم يكمل صلاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

- وإن ذكره بعد وصوله إلى الركن الذى يليه سقط فلا يرجع إليه فيستمر فى صلاته ويسجد للسهو قبل أن يسلم .

**مثال ذلك** : شخص رفع من السجود الثانى فى الركعة الثانية ليقوم إلى الثالثة ناسياً التشهد الأول فذكر قبل أن ينهض فإنه يستقر جالساً فيتشهد ثم يكمل صلاته ولا شىء عليه .

وإن ذكر بعد أن نهض قبل أن يستتم قائماً رجع فجلس وتشهد ، ثم يكمل صلاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

وإن ذكر بعد أن استتم قائماً سقط عنه التشهد فلا يرجع إليه فيكمل صلاته ويسجد للسهو قبل أن يسلم .

**دليل ذلك** : ما رواه البخارى وغيره عن عبد الله بن بحينة رضى الله عنه أن النبى ﷺ صلى بهم الظهر فقام فى الركعتين الأوليين ولم يجلس ( يعنى فى التشهد

الأول ) فقام الناس معه حتى إذا قضى الصلاة وانتظر الناس تسليمه كبّر وهو جالس ، فسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم سلم .

**ثالثاً : الشك :**

الشك : هو التردد بين أمرين أيهما الذى وقع . والشك لا يلتفت إليه فى العبادات فى ثلاث حالات :

الأولى: إذا كان مجرد وهم لا حقيقة له كالوساوس.

الثانية : إذا كثر مع الشخص بحيث لا يفعل عبادة إلا حصل له فيه شك .

الثالثة : إذا كان بعد الفراغ من العبادة فلا يلتفت إليه ما لم يتيقن الأمر فيعمل بمقتضى يقينه.

**مثال ذلك** : شخص صلى الظهر فلما فرغ من صلاته شك ، هل صلى ثلاثاً أو أربعاً فلا يلتفت لهذا الشك إلا أن يتيقن أنه لم يصل إلا ثلاثاً ، فإنه يكمل صلاته إن قرب الزمن ، ثم يسلم ثم يسجد للسهو ويسلم ، فإن لم يذكر إلا بعد زمن طويل أعاد الصلاة من جديد .

وأما الشك فى غير هذه المواضع الثلاثة فإنه معتبر .. ولا يخلو الشك فى الصلاة من حالين :

**الحال الأولى** : أن يترجح عنده أحد الأمرين ، فيعمل بما ترجح عنده ، فيتم عليه صلاته ويسلم ، ثم يسجد للسهو ويسلم .

**مثال ذلك** : شخص يصلى الظهر فشك فى الركعة هل هى الثانية أو الثالثة ، لكن ترجح عنده أنها الثالثة، فإنه يجعلها الثالثة فيأتى بعدها بركعة ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

**دليل ذلك** : ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا شك أحدكم فى صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ، ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين » . هذا لفظ البخارى .

**الحال الثانية** : أن لا يترجح عنده أحد الأمرين فيعمل باليقين وهو الأقل فيتم عليه صلاته ، ويسجد للسهو قبل أن يسلم ثم يسلم .

**مثال ذلك** : شخص يصلى العصر فشك فى الركعة هل هى الثانية أو الثالثة ولم يترجح عنده أنها الثانية أو الثالثة فإنه يجعلها الثانية فيتشهد التشهد الأول ، ويأتى بعده بركعتين ويسجد للسهو ويسلم .

**دليل ذلك** : ما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إذا شك أحدكم فى صلاته فلم يَدْرِ كم صلى ثلاثاً أم أربعاً ، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم ، فإن كان صلى خمساً شَفَعْنَ له صلاته ، وإن كان صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيماً للشيطان .

ومن أمثلة الشك : إذا جاء الشخص والإمام راكع فإنه يكبر تكبيرة الإحرام وهو قائم معتدل ، ثم يركع وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات :

**الأولى** : أنه يتيقن أنه أدرك الإمام فى ركوعه قبل أن يرفع منه ، فيكون مدركاً للركعة وتسقط عنه قراءة الفاتحة .

**الثانية** : أن يتيقن أن الإمام رفع من الركوع قبل أن

يدركه فيه فقد فاتته الركعة .

**الثالثة** : أن يشك هل أدرك الإمام فى ركوعه فيكون مدركاً للركعة أو أن الإمام رفع من الركوع قبل أن يدركه ففاتته الركعة ، فإن ترجح عنده أحد الأمرين عمل بما ترجح فأتم عليه صلاته وسلامه ، ثم سجد للسهو وسلم إلا أن لا يفوته شيء من الصلاة فإنه لا سجود عليه حينئذ .

وإن لم يترجح عنده أحد الأمرين عمل باليقين (وهو أن الركعة فاتته) فيتم عليه صلاته ويسجد للسهو قبل أن يسلم ثم يسلم .

**(فائدة)** إذا شك فى صلاته فعمل باليقين أو بما ترجح عنده حسب التفصيل المذكور ، ثم تبين له أن ما فعله مطابق للواقع ، وأنه لا زيادة فى صلاته ولا نقص سقط عنه سجود السهو على المشهور من المذهب لزوال موجب السجود وهو الشك . وقيل :لا يسقط عنه ليراغم به الشيطان لقول النبى ﷺ : وإن كان صلى إتماماً كانتا ترغيماً للشيطان ، ولأنه أدى جزءاً من

صلاته شاكاً فيه حين أدائه ، وهذا هو الراجح .

**مثال ذلك** : شخص يصلى فشك فى الركعة أهى الثانية أم الثالثة ؟ ولم يترجح عنده أحد الأمرين فجعلها الثانية وأتم عليها صلاته ، ثم تبين له أنها هى الثانية فى الواقع فلا سجود عليه على المشهور من المذهب ، وعليه السجود قبل السلام على القول الثانى الذى رجحناه .

## سجود السهو على المأموم

إذا سها الإمام وجب على المأموم متابعته فى سجود السهو لقول النبى ﷺ : « إنما جُعِلَ الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه » إلى أن قال : « وإذا سجد فاسجدوا » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وسواء سجد الإمام للسهو قبل السلام أو بعده فيجب على المأموم متابعته إلا أن يكون مسبوقاً أى قد فاته بعض الصلاة فإنه لا يتابعه فى السجود بعده لتعذر

ذلك ، إذ المسبوق لا يمكن أن يسلم مع إمامه فيقضى ما فاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم ، وعلى هذا فيقضى ما فاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم .

**مثال ذلك** : رجل دخل مع الإمام فى الركعة الأخيرة ، وكان على الإمام سجود سهو بعد السلام ، فإذا سلم الإمام فليقم هذا المسبوق لقضاء ما فاته ولا يسجد مع الإمام فإذا أتم ما فاته وسلم سجد بعد السلام .

وإذا سها المأموم دون الإمام ولم يفته شىء من الصلاة فلا سجود عليه لأن سجوده يؤدى إلى الاختلاف على الإمام واختلال متابعته ، ولأن الصحابة رضى الله عنهم تركوا التشهد الأول حين نسيه النبى ﷺ فقاموا معه ولم يجلسوا للتشهد مراعاة للمتابعة وعدم الاختلاف عليه .

فإن فاته شىء من الصلاة فسها مع إمامه أو فيما قضاه بعده لم يسقط عنه السجود فيسجد للسهو إذا قضى ما فاته قبل السلام أو بعده حسب التفصيل السابق.

**مثال ذلك** : مأموم نسى أن يقول : سبحان ربى العظيم فى الركوع ولم يفته شىء من الصلاة ، فلا سجود عليه ، فإن فاتته ركعة أو أكثر قضاها ثم سجد للسهو قبل السلام .

**مثال آخر** : مأموم يصلى الظهر مع إمامه فلما قام الإمام إلى الرابعة جلس المأموم ظناً منه أن هذه الركعة الأخيرة ، فلما علم أن الإمام قائم قام فإن كان لم يفته شىء من الصلاة فلا سجود عليه ، وإن كان قد فاتته ركعة فأكثر قضاها وسلم ثم سجد للسهو وسلم ، وهذا السجود من أجل الجلوس الذى زاده أثناء قيام الإمام إلى الرابعة .

## تنبيـــــه

تبين مما سبق أن سجود السهو تارة يكون قبل السلام ، وتارة يكون بعده .

فيكون قبل السلام فى موضعين :

**الأول** : إذا كان عن نقص ، لحديث عبد الله بن

بحينة رضى الله عنه أن النبى ﷺ سجد للسهو قبل السلام حين ترك التشهد الأول . وسبق ذكر الحديث بلفظه .

**الثانى** : إذا كان عن شك لم يترجح فيه أحد الأمرين لحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فيمن شك فى صلاته فلم يدر كم صلى ؟ ثلاثاً أم أربعاً ؟ حيث أمره النبى ﷺ أن يسجد سجدتين قبل أن يسلم ، وسبق ذكر الحديث بلفظه .

ويكون سجود السهو بعد السلام فى موضعين :

**الأول** : إذا كان عن زيادة لحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين صلى النبى ﷺ الظهر خمساً فذكروه بعد السلام فسجد سجدتين ثم سلم ولم يبين أن سجوده بعد السلام من أجل أنه لم يعلم بالزيادة إلا بعده ، فدل على عموم الحكم وأن السجود عن الزيادة يكون بعد السلام سواء علم بالزيادة قبل السلام أم بعده .

ومن ذلك : إذا سلم قبل إتمام صلاته ناسياً ثم ذكر

فأتمها فإنه زاد سلاماً فى أثناء صلاته فيسجد بعد السلام لحديث أبى هريرة رضى الله عنه حين سلم النبى ﷺ فى صلاة الظهر أو العصر من ركعتين فذكروه فأتم صلاته وسلم ثم سجد للسهو وسلم . وسبق ذكر الحديث بلفظه .

**الثانى** : إذا كان عن شك ترجح فيه أحد الأمرين لحديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر مَنْ شك فى صلاته أن يتحرى الصواب فيتم عليه ثم يسلم ويسجد . وسبق ذكر الحديث بلفظه .

* * *

وإذا اجتمع عليه سهوان ، موضع أحدهما قبل السلام ، وموضع الثانى بعده . فقد قال العلماء : يُغلِّب ما قبل السلام فيسجد قبله .

**مثال ذلك** : شخص يصلى الظهر فقام إلى الثالثة ولم يجلس للتشهد الأول وجلس فى الثالثة يظنها الثانية ، ثم ذكر أنها الثالثة فإنه يقوم ويأتى بركعة ويسجد للسهو ثم يسلم .

فهذا الشخص ترك الأول وسجوده قبل السلام ، وزاد جلوساً فى الركعة الثالثة وسجوده بعد السلام فغلب ما قبل السلام . والله أعلم .

* * *

# الفهـــــرس

الموضـــــوع الصفحة

رقــــم الإيــــداع : ٩٥ / ٥٤٠٩
I. S. B. N. 977 - 5481 - 19 - 8